- **المحاضرة الثّانية: المفهوم والخصائص الفنية لقصيدة النّثر.**

- **المفهوم:**

تعرف "سوزان برنار" قصيدة النثر بقولها: هي "قطعة نثر موجزة بما فيه الكفاية، موحّدة، مضغوطة، كقطعة من بلّور... خلق حرّ، ليس له من ضرورة غيررغبة المؤلف في البناء خارجاً عن كلّ تحديد، وشيء مضطرب، إيحاءاته لا نهائية."

- **شروط(خصائص) قصيدة النّثر.**

برفضها للوزن والقافية، وضعت سوزان برنار شروطا جديدة تحكم قصيدة النّثر، وهي الوحدة العضوية، والمجانية، والإيجاز، لخّصتها في وصفها لهذه القصيدة قائلة أنّها: "كلّية التّأثير، والمجانية، والكثافة."

1. **الوحدة العضوية:**

تفترض قصيدة النثر إرادة واعية للانتظام والبناء، تجعل منها كلاّ عضويا، مستقلا، تتيح للقارئ تمييزها عن الشّعر المنثور، أو النثر الشّعري، فعليها ما كانت معقّدة أو حرة في ظاهرها، أن تشكّل عالما مغلقا خاصا بها، وإلاّ أضاعت وجودها كقصيدة.

2. **المجانية:**

تتمثّل في كون قصيدة النثر لا تملك غاية لها خارج ذاتها، سواء كانت هذه الغاية روائية، أو أخلاقية، أو فلسفية، أو برهانية، فهي كبناء فنّي متميّز تختلف عن الرّواية والقصّة وغيرهما من الأنواع الأدبي، وإن استخدمت عناصر الوصف والسّرد، مثلا، فعليها أن تتسامى وتعلو بها لغاية شعرية، كما يمكن تحديد المجانية بفكرة اللازمنية؛ بمعنى أنّها لا تتقدّم نحو غاية أو هدف، ولا تبسط مجموعة من الأفعال والأفكار، بل تعرض نفسها كشيء ككتلة لا زمنية.

3. **الكثافة أو الإيجاز:**

تكمن الكثافة والإيجاز في قصيدة النثر في ابتعادها عن الاستطرادات والإيضاحات والشّروح، وكل ما قد يقودها إلى الأنواع النّثرية الأخرى، فقوّة قصيدة النّثر تنبع من تركيبها الإشراقي المحمّل بالدّلالات المكثّفة؛ الأمر الذي يتطلّب من الشّاعر قدرة مزدوجة على الإيجاز من جهة، ولا نهائية الإيحاءات من جهة ثانية.

إذن يمكن القول إن لقصيدة النثرسمات منها:

–التحرر من نظام العروض الفراهيدي، ان كان في شعر البناء العمودي، أو كان في شعر التفعيلة.

–إن المادة الأساسية لها هو النثر، وإذا كان من صفات النثر – بصورة عامة – هو الاسترسال والإطناب والشرح، فانه في الشعر يستخدم لأغراض فنية – جمالية مغادرا تلك الصفات.

–خالية من التقطيع بين الأبيات.

–ليس لها موسيقى يمكن الإحساس بها بصورة منفردة. إلا أن جماليتها تأتي من كونها:

–الإرادة الواعية للنظام في قصيده النثر.

–تنبع من وعي متقدم بنثرية الشعر.

–بنية الفقرة والجملة التي تسحب القارئ حتى ينهي قراءتها.

–التبادل الوظيفي للحواس يدفع بوعي القارئ الى الاشتغال لما يوحيه الشعر من صور.

–غرائبية الصورة التي يبنيها هذا الشعر.

–الإيجاز والتكثيف في الشعور، والأحاسيس واللغة والصورة الشعرية والرؤى، والمكان والزمان.

–الشكل الإيقاعي ووحدته كمنجز إبداعي يعطي للقصيدة وزنها.

إن ما تريد ان تقوله القصيدة النثرية ليس مخططا له وإنما هو غرض جمالي فني حسب.

ان تلك الصفات والسمات غير قارة، وإنما متغيرة دائما، لمنح قصيدة النثر جماليتها وأسس بقائها لتنقل للآخر المستمع أو القارئ ما يجيش في صدور الشعراء من مشاعر وأحاسيس.

- الإيقاع في قصيدة النثر.

انصرف التّركيز مع هذا النّمط الجديد من الشّعر إلى الإيقاع الدّاخلي للقصيدة، بدل ما كان سائدا من الاعتماد الواضح على الإيقاع الخارجي المتأتي من الوزن والقافية أساسا. فقد أصبح الشّاعر "**يرفض وسائل الرّقي الآلي جدا للشّعر الموزون المقفى، ويطلب "مفاتن" أكثر دقّة من الكلمة نفسها، ومن التّوافقات السّريّة بين المعنى والصّوت، وبين الفكرة والإيقاع، وبين التّجربة الشّعرية، واللّغة التي تترجمها.**" وكنتيجة لذلك ولدت قصيدة النثر ثمرة تمرّد على "**قوانين علم العروض، وأحيانا على القواعد المعتادة للّغة**"

تقول سوزان برنار: إنّ "**الشعر يرتبط بحكم أصوله بالموسيقى، ومن ثمة بفكرة الوزن، ولكن إيقاع الجملة، وعلاقات النغمة بالمعاني، والقوة المثيرة للكلمات، والحد الغامض للإيحاء الذي يضاف لمحتواه الواضح المحض، والصّور، إنّما هي مستقلة عن الشّكل المنظوم شعرا.**"

- إشكاليات قصيدة النّثر.

يطرح هذا المفهوم الجديد للشّعر العديد من الإشكالات، أهمّها إشكالية المصطلح في حد ذاته الذي يجمع بين نقيضين (الشّعر، والنثر)، ثم تداخله مع عديد من مفاهيم الشّعر السّابقة، إضافة إلى إشكالية الانشطارية التي وقعت فيها قصيدة النّثر.

بداية فإنّ قصيدة النثر بحدّ ذاتها مشكلة مركّبة ابتداءً من الازدواجيّة المتحقّقة في المصطلح، والموحية بالتناقض المتأتي من هذهِ الثنائيّة (قصيدة = شعر) / (نثر = لا شعر)، كما ساد في الشعريّات القديمة.

ففي مصطلح قصيدة النثر، يكون المتلقّي بمواجهة ما يمكن أن ندعوه هدماً لحدود النوع، وعليه فإنّ الشكل الظاهر للنص لم يعد كافياً لإنمائه إلى جنسهِ الشعريّ أو النثريّ. ذلك أنّ للشكل الخارجيّ دوراً أوّليّاً في الإخبار عن كون النصّ شعراً أو نثراً.

ومن جهة أخرى فإنّ مصطلح قصيدة النثر لم يكن وحيداً في فضاء هذه المرحلة بالتأكيد،

بل إنّ مصطلحات من قبيل (**الشعر الحرّ**) و (**الشعر المرسل**) و (**الشعر الجديد**) و (**الشعر الأجدّ**) و (**الشعر النثريّ**)، كانت ما تزال ماثلةً، بوصفها تمظهراً من تمظهرات التجديد في الشعر العربيّ، بالمقابل من الشعر التقليديّ أو (العموديّ) كما هو معروف. وقد شكّل حضور هذه المصطلحات المجاورة مصدر قلق وإرباك بسبب مواطن استعمالها، وغياب النظريّة النقديّة المحكمة التي تؤطّرها. إضافة إلى فوضى الاستخدام.

ومن الإشكالات الأخرى التي تقع فيها قصيدة النّثر هي انشطاريتها بين قوتين متنازعتين "**ميل إلى الانتظام، وإلى الكمال الشّكلي، وميل إلى الحريّة والتّشويش الفوضوي أيضا**"؛ وفي ذلك تقول سوزان برنار: "**الشّروط العضوية لقصيدة النّثر مضاعفة، فهي الشّكل الشّعريّ لفوضوية محرّرة في صراع مع القيود الشّكلية، وكذلك نتيجة لإرادة تنظيم فنّي يسمح لها أن تتّخذ شكلا وتصبح كائنا موضوعا فنّيا**"، وهو ما يفسّر تعدّد أشكال قصيدة النثر، وصعوبة تحديد هويتها ومعالمها.